

الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨-١٣؛

٩: ١-٣)

يا إخوة إنَّ الطعامَ لا يُقَرِّبُنَا إلى الله لأنَّنا إن أكلنا لا نزيِّدُ وإن لم نأكلْ لا ننقصُ* ولكن انظروا أن لا يكون سلطانكم هذا معترَّةً للضعفاء* لأنَّه إن رآك أحدُ يا مَنْ له العلمُ متَّكئاً في بيت الأوثانِ أفلا يتقوى ضميره وهو ضعيفٌ على أكل ذبائح الأوثان* فيهلك بسببِ علمك الأخ الضعيف الذي مات المسيح لأجله* وهكذا إذ تُخطئون إلى الإخوة وتجرِّحون ضمائرهم وهي ضعيفةٌ إنما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا أكلْ لحمًا إلى الأبدٍ لئلا أشكَّك أخي* ألسْتُ أنا رسولاً. ألسْتُ أنا حرًّا. أما رأيتُ يسوع المسيح ربَّنَا. ألسْتُمْ أنتم عملي في الربِّ* وإن لم أكن رسولاً إلى آخرين فإنِّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربِّ.

سبت الأبرار

تعيَّد كنيستنا في السبت الذي يسبق أحد مرفع الجبن (الأحد القادم) لتذكُّر آبائنا وأمَّهاتنا الأبرار الذين لمعوا بالنسك الشريف. يبرز في هذه المرحلة المبكرة من فترة التريودي الاهتمام بذكر المؤمنين الذين «كُتبت أسماءهم في ملكوت السموات». فإننا فيما

نعُدُّ في السبت السابق، سبت الأموات، أسماء أحبائنا الراقدين ونرفعهم في الذبيحة الإلهية أمام الله، نقرأ في هذا السبت عن مراكز النسك والرهينة الأكثر شهرة في تاريخ

الكنيسة. نذكر العائلات الرهبانية، عائلة القديس أنطونيوس الكبير، وعائلة القديس إفثيموس، ثم أماكن النسك في مصر، وليبيا، وصحراء طيبة، وفلسطين، وسورية، والقسطنطينية، وجبل آثوس، وصوامع الغرب المسيحي. ثم نبدأ بتعداد نسك هذه البراري وأحدًا فواحدًا مؤكِّدين أنَّ لكلِّ منهم مكانته في حياة كنيستنا. وفي هذا مقدِّمة لأحد الأرثوذكسية حيث نذكر آباء الكنيسة ومعلميها وكل الذين جاهدوا حسنًا من أجل حفظ وديعة الإيمان المقدَّسة.

يُخبرنا الكاتب البيزنطي نيكيفوروس كاليستوس من القرن الرابع عشر أنَّ نكر النسك كلهم في هذا العيد قد أثبت في أول الصوم الكبير لكي يضع نصب أعين من يدخلون بوابة الصوم أمثلة حيَّة. فإنَّ على كلِّ منا خلال الصوم «أن يصير راهبًا» وأن يتَّخذ ولو لفترة قصيرة، وخلال عيشه في العالم، نمط حياة الرهبان.

فإننا، على الرغم من الفرق بين حياة الراهب الذي يتوَّحد لكي يلتصق بالله بالكامل، وحياة الإنسان العائش في العالم، الذي يلتصق ببيته وأسرته،

لا نجد في تقليدنا الأرثوذكسي الشريف تمييزًا قاطعًا بين الرهبان والعلمانيين. الكلُّ مدعو إلى الكمال، إلى عيش الإنجيل الواحد، إلى حفظ الوصايا الإلهية ذاتها، وإلى المكافأة السماوية عينها. لكنَّ الراهب ينحل من أربطة العالم لكي يستبق حياة الدهر الآتي في الملكوت السماوي. هذه الدعوة النبوية لدى الرهبان تجعل منهم النموذج أو أيقونة الحياة في المسيح. وهذا ما ينبغي لنا أن نتطلع إلى تحقيقه بالإمسك عن الطعام والصلوات والأسفار والعبادات الغنيَّة في صومنا الكبير.

العدد ١٠ / ٢٠١٦

الأحد ٦ آذار

أحد مرفع اللحم (الدينونة)

تذكُّر شهداء عمورية

اللحن السابع

إنجيل السحر السابع

الإنجيل

(متى ٢٥ : ٣١-٤٦)

قال الربُّ متى جاء ابنُ البشر في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجده* وتُجمَعُ إليه كلُّ الأمم فيميّزُ بعضهم من بعض كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداء* ويُقيم الخرافَ عن يمينه والجداءَ عن يساره* حينئذٍ يقول المَلِكُ للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا المَلِكُ المَعْدُ لكم منذ إنشاء العالم* لأنِّي جُعتُ فأطعمتموني وعطشْتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فأويتموني* وغرياناً فكسوتُموني ومريضاً فعُدُّتموني ومحبوساً فأتيتم إلي* حينئذٍ يجيبه الصديقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فأويناك أو غرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتيناً إليك* فيجيبُ المَلِكُ ويقول لهم: الحقُّ أقول لكم بما أنكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدَّة لإبليس وملائكته* لأنِّي جُعتُ فلم تُطعموني وعطشْتُ فلم تُسقوني*

«إحملوا نيري عليكم وتعلّموا مني» فإنِّي وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم لأن نيري هين وحلمي خفيف» (متى ١١ : ٢٩-٣٠). هكذا، على عتبة الصوم الكبير ينتصب أمامنا نساك الكنيسة القديسون ليذكرونا أن لا شيء في حياتنا أضمن من محبة المسيح وليؤكدوا لنا أن التوبة الحقيقية ممكنة في كلِّ زمان وعصر إذا ما استغاث الإنسان بتحنن السيّد ومراحمه، وطلب بإيمان وشوق معونته الإلهية.

العثرة

«انظروا أن لا يكون سلطانكم هذا معثرة للضعفاء». يهتم الكتاب المقدس دائماً، إن على لسان الرب يسوع، أو على لسان الرسل القديسين، بخلاص كلِّ إنسان، ويشدّد على أن كل واحد منا هو مسؤول عن خلاص أخيه الإنسان نفساً وجسداً. فالتركيز في رسالة اليوم هو على الانتباه لتلا يتعثّر أحدٌ بسببنا، حتّى ولو كان ذلك سيوذي بنا إلى التوقّف عن الأكل: «إن كان الطعام يشكك أخي فلا أكل لحمًا إلى الأبد لتلا أشكك أخي». قول الرسول بولس هذا يندرج ضمن إطار كلام الرب يسوع الذي قال: «لا يمكن إلا أن تأتي العثرات، ولكن ويلٌ للذي تأتي بواسطته. خيرٌ له لو طوّق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر من أن يُعثر أحد هؤلاء الصغار» (لو ١٧ : ١-٢). إذًا، نرى كم أن الرب هو حازمٌ في هذا الموضوع، واضعاً المسؤولية على كاهل من هم متقدّمين روحياً أكثر من سواهم الذين يدعوهم «الصغار» (أي الذين لا يزالون في بداية حياتهم الروحية). الأمر نفسه يعيده الرسول بولس على مسامعنا في رسالة اليوم: «انظروا أن لا يكون

من هنا يستبين هذا السبت عيداً ليس فقط لمن أعلنت الكنيسة قداستهم بل لكلِّ من يتطلّع «من كلِّ قلبه ومن كلِّ فكره ومن كلِّ قوته» إلى محبة المسيح. سبت الأبرار تذكير لنا بـ«ما لم تراه عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدّه الله للذين يحبّونه» (١ كو ٢ : ٩).

نعيد في هذا اليوم للنساك كونهم بلغوا غاية الصوم، أي العودة إلى الفردوس واستعادة الطبيعة البشرية في حركتها الأصيلة نحو الاتحاد بالله. لذلك يشبّههم كتاب التريودي بـ«الفردوس الجديد» الذي ينبغي الإسراع إليه من أجل تذوق ثمار فضائلهم الوافرة. لا بل إننا «بالاستنارة بفضائل النساك وإرشاداتهم» ندخل إلى تذوق مسبق للفردوس، وهذا التذوق هو خبرة الصوم الكبير المعاش حسناً.

نحن مدعوون في الصوم إلى العودة إلى الفردوس عبر الصلاة والاعتناء بمثال القديسين النساك الذين «بالأصوام والأسهار والصلوات تقبلوا المواهب السماوية». فهم مثالنا في الصلاة والدموع، وفي السهر، وفي ضبط النفس، وفي الطاعة، وفي عدم التعلّق بالأمر الفاسدة، بحيث ينعق الإنسان ويوجّه القلب والفكر نحو الله.

يذكّرنا سبت الأبرار أيضاً بفضائل النساك وبثمار الروح القدس التي اقتنوها، من عفاف وبرٍّ وطول أناةٍ وسلامٍ ووداعةٍ ومحبةٍ للقريب. نقرأ في رسالة هذا السبت أي سبت الأبرار وصيّة الرسول بولس: «إحملوا بعضكم أثقال بعض وبهذا تمّموا ناموس المسيح» (غلا ٦ : ٢) لتذكّر أنّ غاية كلِّ الأصوام والجهادات النسكية هي المحبة النقية للقريب. وبهذا العزم نقرأ في اليوم نفسه كلام الإنجيل:

وكنْتُ غريباً فلم تُؤووني
وغريانا فلم تكسوني
ومريضاً ومحبوساً فلم
تُزوروني* حينئذٍ يجيبونه
هم أيضاً قائلين يا ربُّ
متى رأيناك جائعاً أو
عطشاناً أو غريباً أو غريانا
أو مريضاً أو محبوساً ولم
نُخدمك* حينئذٍ يجيبهم
قائلًا الحقُّ أقول لكم بما
أنكم لم تفعلوا ذلك بأحدٍ
هوؤلاء الصغار فبي لم
تفعلوه* فيذهب هؤلاء إلى
العذاب الأبدي والصدِّيقون
إلى الحياة الأبدية.

تأمل

تصوّر يومك الأخير،
والقلق، وضيق النفس،
وساعة الموت، والحكم
الإلهي الوشيك، الملائكة
المُسرعين، والنفس
المضطربة بشكل مرعب
وسط كل ذلك. ارسّم في
فكرك صورة خاتمة الحياة
الكونية، حين سيأتي ابن
الله في مجده مع ملائكته،
«لأنه سيأتي ولن يبقى
صامتاً» (مز ٤٩: ٣)، حين
سيأتي لبيد الأحياء
والأموات كلا بحسب
أعماله، وحين سيُسمع بوق
الأخرة صوتاً قوياً مرعباً
سيوقظ أولئك الراقدين منذ
بدء الأجيال، وحين
سيقدّم الذين عملوا الخير
لقيامه حياة والذين
اقترفوا الشرّ لقيامه دينونة
(يو ٥: ٢٩). تذكر رؤيا
دانيال الإلهية، وكيف
يضع الدينونة نصب
عيوننا. يقول: «وبينما

سلطانكم هذا معثرة للضعفاء، لأنه
إن رآك أحد يا من له العلم متكئاً في
بيت الأوثان، أفلا يتقوى ضميره
وهو ضعيف على أكل ذبائح
الأوثان».

إذا خضنا هذا الموضوع من
الناحية العملية، نجد أننا، كلَّ يوم
وكل لحظة، نُعثر أحداً ممن هم
حولنا. فإذا ابتدأنا من المنزل،
نلاحظ أن الأولاد ينظرون إلى الأهل
نظرة كمال؛ هذه النظرة تنجرح
عندما يقوم الأهل بأخطاء عليهم ألا
يقوموا بها أمام أولادهم،
كالمشاجرة مثلاً، أو التكلم بألفاظٍ
نابية، أو التحدّث عن أشخاص
آخرين بالسوء والتحقير، أو رمي
النفائيات من نوافذ السيارة، وما إلى
ذلك من أعمال تجرح نفس هؤلاء
الأولاد، الذين لن يستغرب أحدٌ إذا
شبوا وقد غرست فيهم تلك البذور
السيئة، الأمر الذي يدخل المجتمع
بأسره في دائرة مفرغة من العثرات.
الأمر نفسه ينطبق على المدرسة،
التي مهمتها تنشئة الأجيال علي
الأخلاق الحميدة. فإذا تهاون أستاذ
ما مرة واحدة مثلاً مع تلميذ ضيّط
وهو يغش، فإن هذا التهاون
سيعطي التلميذ أملاً بأنه سيستطيع
القيام بأمر أكبر من الغش
وسينجو بفعلته، وللأسف تصل
الأمر في بعض الأحيان إلى حدّ
التدخين أو حتى تعاطي المخدرات
داخل حرم المدرسة.

أمّا في العمل، فتكون العيون
متّجهة نحو المسؤولين والمدراء
الذين ينتظرهم صغار الموظفين
حتّى يُخطئوا، فتكون أخطأهم
مسوّغاً لأولئك الموظفين لكي
يخطئوا بدورهم بحجة أن ما يحقّ
للمسؤول يحقّ للموظف؛ مثلاً، إذا
تأخّر المسؤول عن عمله كلَّ يوم
فإنّ الموظف سيجد ذلك عذراً لكي
يتأخّر بدوره، فيفقد العمل رصانته
وجديته، وتالياً تصاب المؤسسة
بنكسات من شتى الأنواع.

من الممكن أن ينسحب موضوع
العثرة على الكنيسة أيضاً، حيث
نجد كثيرين يقولون إنهم لا
يذهبون إلى الكنيسة لأن الكاهن أو
الشمّاس أو غيرهم ممن يعمل في
الكنيسة عثرهم. من المهم أن
يكون كل من يعمل في الكنيسة
منتبهاً إلى تصرّفاته لنلأ يماهي
الناس بين أعماله وبين عمل
الكنيسة. الناس ينسون في غالبية
الأحيان أن الكنيسة على الأرض
ليست كاملة، إنّما تسعى إلى الكمال،
كونها مكوّنة من بشر، والبشر
يصيبهم الضعف مرّات عديدة. لا
شك في أن الإنسان عموماً، والعامل
في حقل الكنيسة خصوصاً، عليه ألا
يتحجج بالضعف، بل أن يكون قوياً
ويسعى إلى الكمال في الرب يسوع.
هذا السعي إلى الكمال يُبعد الغضب
والكبرياء والشراسة وحب المال
والسلطة والنميمة والحسد وما إلى
ذلك من المساويء، وتالياً يلجم
السنة من يريدون الشرّ للكنيسة
ويتربصون برجالها لكي يجدوا علة
تخولهم الافتراء على المسيحية
ككل، تماماً كما كان الهراطقة
يفعلون في القديم.

في النهاية، علينا ألا نتجاهل
طلب الرب في ألا نعثر إخوتنا
أولئك الصغار، بل أن نكون قوّة
وعوناً لهم في الشدائد، لأنّ المحبة
تتجلى في التآزر وليس في تحطيم
الآخر نفثاً وجسداً وإبعاده عن
المسيح.

البطن المتخم لا يلد

المعاني السامية

بمطاردة الشر لا تصبحون
قديسين. دعوا الشر وانظروا إلى
المسيح وهو سيخلصكم. إن ما
يقدّس الإنسان هو المحبة
والإيمان بالمسيح، اللذان لا
يمكن التعبير عنهما، إضافة إلى

محاولة الإنسان القيام بالممارسات النسكية، والمشقات التي تسبب له الألم من أجل محبة الله.

لم يتقدس أي ناسك بدون حياة نسكية. ولم يستطع أحد الدخول إلى الحياة الروحية بدون النسك. لا بد من التدريبات النسكية، أي المطانيات والسهرانيات وغيرها، ولكن بدون غصب، ينبغي أن يتم كل شيء بفرح. ليس المهم المطانيات التي سنعملها ولا الصلوات، بل العطاء وعشق المسيح والروحيات. كثيرون يقومون بهذه التدريبات لا من أجل الله بل من أجل الرياضة الروحية والمنفعة الجسدية. أما الأشخاص الروحانيون فيفعلونها من أجل المنفعة النفسية ومن أجل الله، إلا أن الجسد أيضاً يستفيد كثيراً منها فلا يمرض، وفوائد جمّة تنجم عنها.

«البطن المتخم لا يلد المعاني السامية». أعرف هذا القول من الآباء. جميع الكتب الأبائية تتكلم عن الصوم. فالآباء يشددون على عدم تناول الأطعمة التي يصعب هضمها، أو الدسمة والمسمّنة، لأنها تؤذي الجسد والنفوس. يقولون إن الخروف يأكل أعشاب الأرض وهو هادئ جداً، أما الكلب والقطة وكل الحيوانات الأكلة للحوم، فهي جميعها حيوانات برّية. أنظروا كيف يقولون عن إنسان ما «إنه كالحمل». اللحم يؤذي الإنسان، أما الخضار والفاكهة وغيرها فتنتفعه. لذلك يتكلم الآباء عن الصوم، ويدينون كثرة الأكل واللذة التي يشعر بها المرء بتناوله الأطعمة الغنية. فلتكن أطعمتنا أكثر بساطة، ولا نشغل كثيراً بها.

لا الطعام، ولا الظروف المعيشية الحسنة، تضمن الصحة الجيدة، بل

الحياة المقدسة، الحياة بالمسيح. أعرف تساكاً صاموا كثيراً ولم يعانون من أي مرض. لا أحد يمرض أو يتعرّض لأي خطر من جرّاء الصوم. الصّوامون يصومون ولا يصابون بأذى. بل ويشفون من أمراضهم أيضاً. الذين يأكلون اللحم والبيض والحليب يمرضون أكثر من النباتيين، هذا أمر ملحوظ. لنأخذه من وجهة نظر علم الطب، فالأطباء ينصحون به الآن.

لكنكم كي تتصرفوا هكذا، ينبغي أن تملكوا إيماناً، وإلا سيتملككم الغثيان. الصوم هو موضوع إيمان أيضاً. لن تصابوا بأذى من جرّاء الصوم، إذا هضمتم طعامكم بشكل جيد. النساك يحولون الهواء إلى زلال ولا يؤذيهم الصوم. عندما تملكون العشق الإلهي، تستطيعون الصوم بسرور، ويكون كل شيء سهلاً لديكم، أما خلاف ذلك فسيبدو الأمر لكم مثل جبل. الذين أعطوا قلوبهم للمسيح، وأخذوا يرددون صلاة يسوع بحرارة، استطاعوا أن يسودوا على النهم وعدم الإمساك ويغلبوهما.

اليوم، يوجد أناس ما كانوا يستطيعون الصوم يوماً واحداً، لكنهم يعيشون الآن معتمدين على النباتات، لا لأسباب دينية، بل فقط لأنهم اقتنعوا أن هذا الأسلوب أكثر نفعاً لصحتهم. فلا بد أن تقتنع بأنك لن تصاب بسوء إذا لم تأكل لحماً طبعاً عندما يكون الإنسان مريضاً، فليست خطيئة أن يتناول طعاماً زفرياً دعماً لقواه.

الأب البار بورفيريوس الرائي

بالإمكان الإطلاع على النشرة

أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

كنت أرى، نصبت عروش، وجلس القديم الأيام وكان لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار. وكان نهر نار يجري أمامه، وتخدمه ألوف ألوف، وتقف بين يديه ربوات ربوات، فجلس أهل القضاء وفتحت الأسفار» (دا ٧: ٩-١٠). الخير والشر، الظاهر والمستور، الأفعال والأفكار، هذه الأسفار إنما تكشف كل شيء معاً، بوضوح، بغية أن يسمعه الجميع، الملائكة والبشر. وعند ذلك الكشف، ترى، أي موقف بالضرورة سيكون لدى من عاشوا سيرة سيئة؟ أين ستختبئ إذا تلك النفس التي ستظهر بغتة وهي مفعمة خزياً على مرأى جميع المتفرجين؟ وبأي جسد ستحمل تلك الجلادات المرعبة والنحيب المر، وعويل الأوجاع الغريب، والبكاء وصرير الأسنان، وحيث لا نهاية للألام؟ فلا يمكن الانعتاق من هذه بعد الموت، وليس ثمّة عكس للوضع ولا حيلة تبيح الإفلات من تلك العقوبات الفظيعة. أما تجنبها فممكن الآن. وفيما ذلك ممكن، فلننهض إذاً من سقطتنا ولا نياسن من أنفسنا، ما دمنا نعلم كيف نتحرر من الأسوأ، سيّما أن يسوع المسيح قد جاء إلى العالم ليخلص الخطاة.

القديس باسيليوس الكبير